ماكس هرتس باشا (1856 ـ 1919)
ونشاطاته في ترميم الآثار العربية الإسلامية في مصر

د. إستيفان أورموش
أستاذ مساعد – قسم اللغة العربية والدراسات السامية
كلية الآداب – جامعة أوتفوش لوراند
بودابست – المجر

obeikan.com

obeikan.com

ماكس هرتس باشا (1856 ـ 1919)
ونشاطاته في ترميم الآثار العربية الإسلامية في مصر

حياته

ولد ماكس هرتس باشا في قرية أُتْلَكَهْ Ottlaka الصغيرة الريفية في محافظة أَرَدْ Arad في وسط المجر سنة 1856 في عائلة فقيرة وظروف عسيرة[1]. أما شغل والده فكانت له علاقة بالزراعة إلا أن التفاصيل ليست معروفة. وتوفيت والدته وهو صبي صغير وتزوج والده مرة أخرى من امرأة ما لبثت أن ماتت. وأنهى ماكس هرتس دراستيه الابتدائية والثانوية في مدينة تمشْوَارْ Temesvár النشيطة المزدهرة[2] وبعد ذلك درس العمارة في كلية

---

(1) قام المؤلف بهذا البحث بمساعدة الصندوق المجري الوطني للبحث العلمي OTKA 48863. — كان هرتس يتبع عادة معظم المجريين في عصره باستعمال اسمه المجري Herz Miksa هرتس ميكشا في المجر وفي المطبوعات باللغة المجرية والاسم الألماني Max Herz في الخارج وفي المطبوعات غير المجرية وترجع هذه العادة إلى اعتقاد المجريين أن الأجانب لا يستطيعون فهم الأسماء المجرية ونطقها بسبب صعوبة لغتهم وهذا الاعتقاد صحيح إلى حد ما إلا أنه في الحقيقة لا يبرر ترجمة الأسماء الشخصية واستبدالها في رأينا المعاصر الحديث ولذلك انقطعت هذه العادة من قرابة ثلاثين عامًا ومن ناحية أخرى فليست كل الأسماء المتداولة بين المجريين من أصل مجري مثل اسم هرتس باشا Miksa الذي هو اسم ألماني أصلاً دخل اللغة المجرية.

(2) تقع قرية أُتْلَكَهْ ومدينة تمشْوَارْ في المنطقة التي اضطرت المجر إلى التخلي عنها لرومانيا سنة 1920 بمقتضى معاهدة الصلح بعد الحرب العالمية الأولى التي انهزمت الإمبراطورية النمساوية المجرية فيها ومن المعروف أن الدول المنتصرة سلخت ثلثي مساحة المجر منها بحجة إنشاء دول ذات قومية واحدة ، وصحيح أن المجر كانت دولة متعددة القوميات قبل الحرب وأصبحت دولة ذات قومية =

الهندسة في بودابست لمدة ثلاث سنوات تبعتها ثلاث أخرى في كلية هندسة ڤيينا. وكانت الدراسة تشكل صعوبة كبيرة بالنسبة إلى العائلة بسبب فقرها حتى إن ماكس الصبي اضطر مرة إلى التخلي عن المدرسة الثانوية ليتكسب عيشه بياعًا في أحد الدكاكين في مدينة أَرَدْ Arad القريبة - ربما إلى آخر حياته - ولكن أسعفته المقادير عندما نجح أخوه الأكبر في تدبير مصروفات دراسته وهكذا رجع إلى مدرسته من جديد بعد انقطاعه عنها شهورًا قليلة فقط. وكانت سنوات الجامعة شظفًا وفاقةً حقًا. وتخرج في يوليو سنة 1880 مهندسًا معماريًا دون تسلم شهادة بذلك حسب تقاليد ذلك الزمان لأن تسلم المتخرج شهادة لم يطبق في ڤيينا إلا بعد الحرب العالمية العظمى الأولى. وحال تخرجه صادف أن تعرف المهندس الشاب على عائلة نمساوية كانت تتجهز للسفر من ڤيينا إلى القاهرة لأن رب العائلة كان مديرًا لفندق النيل الرائع بالموسكي والذي عرض على هرتس الشاب السفر معهم مقابل أن يشرح لأبنائه الآثار المعمارية التي يزورونها خلال سفرهم عبر إيطاليا في طريقهم إلى مصر. وقبل هرتس العرض بدون تردد؛ ذلك أن التفرج على الآثار الإيطالية كان جزءًا أساسيًا من دراسة العمارة وقتئذ وكان المنتظر من كل مهندس معماري أن يقوم بزيارة مطولة لإيطاليا أو لمناطقها الشمالية على الأقل؛ ولكن هرتس باشا كان شابًا فقيرًا لم تسمح له ظروفه المادية بزيارة الأماكن المذكورة التي كانت موضوع دراسته خلال سنوات طويلة. ولقد وصلوا القاهرة بعد رحلة طويلة في خريف السنة نفسها أي سنة 1880 وهكذا أمكن لهرتس الشاب أن يطلع على مفاخر أقدم بلد في العالم ويتعرف على آثار مهد الحضارة الإنسانية أيضًا قبل أن يرجع إلى النمسا والمجر ويبحث عن عمل في الإمبراطورية الثنائية المزدهرة الغنية. إلا أنه ما لبث أن وصل خبره إلى مواطنه يوليوس

= واحدة بعدها إلا أن هذا لم يكن صحيحا بالنسبة إلى جيرانها فلقد أصبح ثلاثة ملايين مجري من رعايا دول الجوار. إن تلك الظروف كانت من الأسباب التي أدت إلى نشوب الحرب العالمية الثانية. ولقد مات هرتس باشا في مايو 1919 أي قبل التوقيع على معاهدة تقسيم المجر في يونيو 1920 وهكذا لم يعد يعيش ليعلم نتيجة الحرب النهائية إلا أن الروايات والوثائق الأخرى - رسائل هرتس - تثبت أن الحرب قد لعب دورًا مؤثرًا في تدهور صحته وحالته النفسية؛ ويتجلى هذا في رسائله إلى صديقه المستشرق المجري إجناتس جولدتسيهر Ignaz Goldziher والمحفوظة في المجموعة الشرقية من مكتبة أكاديمية العلوم المجرية في بودابست.

فرنس باشا Julius Franz الذي كان وقتئذ باشمهندس قلم الهندسة في ديوان عموم الأوقاف فتعارفا وعرض فرنس على المهندس السائح وظيفة لم يستطع أن يرفضها وقبلها بسرور عظيم وحماس، وعُين هرتس رسامًا في قلم الهندسة ثم مهندسًا تابعًا لرئيس هندسة الأوقاف في مايو سنة 1882. ولقد تفانى في عمله حتى إن فرنس باشا – الذي كان جَمَّ الرضا بإخلاص المهندس الشاب – اقترح على الحكومة المصرية أن يخلفه الشاب المجري كعضو في لجنة حفظ الآثار العربية القديمة لدى تقاعده عام 1887 كما أوصى به مشرفًا على دار الآثار العربية – متحف الفنون الإسلامية حاليًا – والتي كانت وقتذاك تعتبر مستودعًا ومخزنًا للجنة إلى جانب كونها متحفًا وطنيًا عربيًا والتي لم يتم تعيين مدير أو وكيل للإشراف على نشاطاتها بعد. طبعًا كان فرنس باشا باشمهندسا في ديوان عموم الأوقاف أيضًا ولكن هرتس لم يخلُفه في منصبه المهم هذا. وفي الوقت نفسه ابتكر منصبًا جديدًا لهرتس باشا شخصيًا لم يكن له وجود من قبل وهو منصب باشمهندس اللجنة. ومرت السنون وظل هرتس يترقى في النظام الملكي الشائع إذّاك حتى حصل على رتبة الميرميران سنة 1913 والتي يقترن بها لقب الباشوية. وكانت حياة هرتس باشا سلسلة من النجاحات المتتالية والرضا المتصل حتى صيف سنة 1914 الذي سافر فيه حسب عادته إلى أوربا مع عائلته لقضاء العطلة الصيفية فيها. وحدث خلالها كارثتان كبيرتان غيرتا حياة هرتس تغييرًا كاملاً وتسببتا في موته آخر الأمر؛ ذلك أن ابنه المحبوب أصيب بمرض التيفويد الصيفي الحاد وعمره 17 سنة وما لبث أن مات في بيت الجدين في ميلانو. زاد الطين بلة أن نشبت الحرب العالمية العظمى الأولى مما حدا بسلطات الاحتلال البريطانية في مصر وقتها إلى إحالة هرتس باشا إلى المعاش وطرده من مصر بدعوى أنه من رعايا دولة معادية لبريطانيا العظمى. ومعروف أن هرتس باشا تمسك بجنسيته المجرية إلى آخر العمر. ولحق هرتس باشا بعائلته في ميلانو في إيطاليا مسقط رأس زوجته والتي كان دائمًا يزور مع عائلته أصهاره فيها كل سنة خلال العطلة الصيفية ثم انتقل بعائلته إلى زيورخ في سويسرا المدينة التي اختارها مقامًا للمدة الباقية من الحرب بسبب اضطراره إلى مغادرة إيطاليا سنة 1915 بعد انتقالها من حلف الدول المركزية إلى المعسكر المعادي أي حلف الاتفاق الودي وإعلانها الحرب على حليفتها الإمبراطورية النمساوية المجرية. ولكنه ما

لبث أن مرض مرضًا شديدًا لم يقدر له الشفاء منه، ذلك أنه اضطر إلى إجراء عملية جراحية مات خلالها على منضدة الجراحة في مايو سنة 1919. ودفن هرتس باشا في ميلانو بجانب ابنه المحبوب في القبر الذي صممه بنفسه لابنه الفقيد والذي دفنت فيه زوجته أيضًا بعد 30 سنة. ولا شك أن فقدانه لابنه وعمله – وقد كانا أهم ما في حياته – قد عجلا بنهاية رجل ظل البِشْرُ من صفاته حتى وقع فريسة للكارثتين.

لجنة حفظ الآثار العربية القديمة

تأسَّست لجنة حفظ الآثار العربية القديمة سنة 1881 في إطار ديوان عموم الأوقاف بأمر عال من الخديوي توفيق. وقامت اللجنة بصيانة الآثار وإصلاحها وترميمها والحفاظ عليها وكان من مهماتها الرئيسة جرد وحصر تلك الآثار قبل كل شيء. وتوسعت سلطة اللجنة فيما بعد لتشمل الآثار القبطية سنة 1898. ويجب القول أن اللجنة كانت تعاني مشكلةَ انعدام وجود عمال مؤهلين للاضطلاع بالأعمال الموكولة بها وإنما كان يقوم بهذه الأعمال قلم هندسة الأوقاف. وكانت طبيعة هذه الأعمال عكس طبيعة أعماله العادية التي كان عماله معتادين عليها إضافة إلى أنه كان محمَّلاً بالأشغال العادية وفوق طاقته على مر السنين مما أدى إلى توتر شديد وفوضى كبيرة في نشاطاته في هذا الوقت. ولهذا السبب أصبح تشكيل القسم التقني أو الهندسي الخاص باللجنة سنة 1890 بدء مرحلة جديدة في حياة اللجنة لأن مهمة هذا القسم الجديد كانت مقصورة على أشغال اللجنة فقط. وفي الوقت نفسه ابتُكِرَ منصب جديد لهرتس باشا شخصيًا وهو منصب باشمهندس اللجنة الذي لم يكن موجودًا من قبل – كما أشرنا – إلا أن باشمهندس اللجنة لم يكن رئيسها في الوقت نفسه لأن رئيس اللجنة كان دائمًا ناظر عموم الأوقاف أو وزيرها وهكذا لم يكن منصب رئيس اللجنة إلا منصبًا فخريًا فقط وأما إدارة الأعمال وتنفيذها فكانت في الحقيقة في أيدي الباشمهندس. وفي منصبه هذا كان هرتس يحدد النشاطات في مجال حفظ الآثار الإسلامية والقبطية في مصر لمدة 25 سنة. وكانت هذه الفترة مهمة جدًا لأن حالة الآثار الإسلامية والقبطية كانت تتدهور بسرعة في القرن التاسع عشر بالإضافة إلى تدفق عدد كبير متزايد من السواح الأجانب والتجار على مصر الذين قاموا بشراء التحف الأثرية

وتهريب بعضها إلى أوربا. وأصبح منصب هرتس أهم منصب في اللجنة فيما بعد بما أن الباشمهندس كان يقرر أي الأشغال هي التي يرجى تنفيذها وأيها يمكن تأجيلها وكان أيضًا يأمر بتنفيذها ويناقش العروض مع المقاولين ويختار أحسنها ويشرف على تنفيذه إلخ إلخ. في الحقيقة كان الباشمهندس دائمًا يناقش كل هذه المواضيع مع أعضاء اللجنة في جلساتها العادية ويستشيرهم فيها إلا أن شخصية هرتس باشا الحازمة القوية أضفت أهمية خاصة على منصب الباشمهندس وكانت المحرك الحقيقي وراء نشاطات اللجنة كما كان هذا الأمر حقيقة معروفة وقتئذ. وكان هرتس باشا يُعتبر رجلاً محبوبًا في مكتبه وفي اللجنة وفي كل مجالات الحياة الاجتماعية بصورة عامة لأنه كان رجلاً طيب المعشر حسن المعاملة رقيق الحاشية محبًا للناس ومن ناحية أخرى كان جادًا صارمًا في عمله وقام بتنفيذ مهماته بإخلاص وصدق وكان شديدًا في ضبطه وربطه يلتزم دائمًا بنظام دقيق في العمل.

وكانت من مشاكل هرتس الكبرى طوال مدة عمله هي أن الأموال المخصصة للجنة كانت محدودة للغاية ولم تسمح بتنفيذ كل الأعمال التي اعتبرتها اللجنة ضرورية ولا حتى بتنفيذ جزء لا بأس به منها. وفي هذه الحالة كان أمام اللجنة خياران أولهما أن توجه اللجنة الأموال الموجودة لديها إلى مشاريع محدودة وتستخدمها في الترميم الكامل لعدد قليل من الآثار والخيار الثاني أن تستعمل اللجنة الأموال المتوفرة لديها في أعمال بسيطة في عدد كبير من الآثار المهددة التي يُخشى دمارها واختفاؤها وذلك من أجل حفظها للأجيال القادمة التي سوف يكون في إمكانيتها القيام بالترميم المناسب والمطلوب. ومن حسن حظنا أن اللجنة اختارت الطريق الثاني وبهذه الطريقة نجحت في إنقاذ آثار عديدة ما كانت لتبقى حتى يومنا لو لم تكن اللجنة قد قامت بصيانتها ورعايتها. ومن ناحية أخرى لا شك أن اللجنة لو كانت قد استلمت مبالغ كبرى من الحكومة لقام هرتس طوال السنين بتنفيذ عدد أكبر من مشاريع الترميم الكامل التي يتجلى فيها فنه وخبرته بقدر أكبر.

أما طريقة العمل التي اعتمد ماكس هرتس عليها في عمله فيمكننا أن نقول إنه انتهج مَنهجًا حديثًا معاصرًا حينئذ بما أنه فضل حفظ الآثار على ترميمها ولم يقم بالترميم إلا إذا

اضطُر إليه. فالحقيقة أن طريقة العمل المقبولة في مجال حفظ الآثار وترميمها المنتشرة في العالم في أيام هرتس باشا كانت عبارة عن إعادة الآثار إلى شكلها وهيئتها الأصليين أو شكلها وهيئتها اللذين تميزت بهما في أوج بهائها. وفي معظم الحالات كان معنى ذلك أن عددًا من الأجزاء الجديدة الدخيلة أضيفت إلى الأثر. ومن ناحية أخرى أزيل عدد من الأجزاء الموجودة – وهي أجزاء اعتبرها الجيل الجديد تافهة – وذلك من أجل توحيد طراز الأثر؛ وهكذا أصبح الأثر في حالة لم تكن فيها أبدًا في العصور السابقة. ولقد ثار جدل شديد حول صحة هذا المنهج فأصر بعض المختصين في تاريخ العمارة ونظريتها على أن الطريقة الوحيدة التي يمكن الاعتماد عليها هي الاقتصار على المحافظة فقط. وقال علي بهجت بك أحد أعضاء اللجنة عن هرتس باشا بعد وفاته: "أما الأعمال الفنية التي تشكلت اللجنة من أجلها أعني بذلك المحافظة على الآثار فقد أجراها هرتس باشا على الطريقة الأصولية بمعنى أنه ما كان ليُحدث في الأثر الذي يتولى إصلاحه عملاً ليس له أصل فيه وكان كثير الغيرة على هذه الطريقة"[3]. والحقيقة أن هرتس درس كل المصادر الموجودة عن أثر معين بكل تفاصيلها دراسةً شاملةً عميقةً قبل أن يبدأ بعمليات المحافظة. أو الترميم ويمكننا القول بصفة عامة إن هرتس باشا كان رجلاً جادًّا مدققًا في عمله وكان دائمًا يضطلع بأعماله بدقة وإحكام إلا أنه قام في بعض الأحيان بإدخال عناصر لم تكن موجودة في الأثر من قبلُ إذا كانت الحالة تضطره إلى مثل هذه الخطوات. وذلك في إطار المنهج المعروف "بالترميم النمطي" stylistic restoration الذي يرمي إلى الترميم بالطراز الأصلي أو الرئيس للمبنى وهذا هو المنهج الذي اتبعه معظم مرممي العصر في أوربا أيضًا رغم المناقشات حول صحتها ومقبوليتها وكان هرتس باشا متحفظًا للغاية في هذه الحالات وكان ذوقه راقيًا أيضًا. ذلك أنه اشتغل في حفظ الآثار الإسلامية والقبطية التي كانت دائمًا تستأنف فيها الصلوات والقداديس والطقوس الدينية من جديد بعد نهاية عمليات الترميم وكان والمسلمون والأقباط بالطبع يفتقدون الأجزاء المعتادة والتراكيب

(3) توفيق إسكاروس : مكس هرتس باشا وفضله في حفظ الآثار العربية ، الهلال السنة 27 ، يوليو سنة 1919 ، ص 926.

المألوفة التقليدية مثل دكة المبلغ أو فسقية أو سقف أو رواق. وإذا لم تتوفر المعلومات عن شكل مثل هذا العنصر وهيئته لجأ هرتس باشا إلى تصميمه على أساس من الطراز الذي تنتمي إليه مستهديًا بالوحدات الشبيهة المتبقية من العصر نفسه.

إذا أردنا أن نعدد بعض الأمثلة للصفات العامة التي تتميز بها تدخلات هرتس باشا في الآثار وجب علينا أن نقول إنه قام في بعض الأحيان بتكملة أجزاء ناقصة لم يعرف شكلها الأصلي ولكنه فعل ذلك في آثار من عصور نعرف عمارتها معرفةً مثبتةً لتوفر عدد كبير من الآثار منها. وقام هرتس بمثل هذه التكملة على طريقة القياس اعتمادًا على أجزاء مماثلة مطابقة من الآثار المعروفة. وفي هذا السبيل قام بتكملة بعض المآذن في المساجد من عصر المماليك الجراكسة لأن عددها متوفر وعمارتها معروفة بهذا. ولكنه رفض أيًا من عمليات التكملة في الآثار من العصر الفاطمي مثلاً لأنه كان يرى أن مقدار المعلومات المتوفرة عن عمارة الفاطميين محدود للغاية لا يكفي للاعتماد عليه باستعمال القياس بطريقة سليمة. وهكذا امتنع عن ترميم جامع الصالح طلائع بن رزيك واقتصر على أهم أعمال الصيانة الضرورية لاعتباره أننا لا نعرف عن صورته الأصلية إلا تفاصيل قليلة جدًا. والجامع المرمم الهائل الذي نشاهده الآن قد تم ترميمه في الزمان بعد طرد هرتس باشا من مصر والذي كان أقل تحفظًا وهكذا لم يمنع مرممي جيله عدم توفر التفاصيل الضرورية الكافية عن القيام بهذا المشروع الشديد الحساسية.

كما نلاحظ أن هرتس باشا قام مرات عديدة بإزالة الإضافات التي تمت في العصر العثماني في مشاريعه الترميمية في الآثار المملوكية مما أدى ببعض المختصين إلى التأكيد أن اللجنة كانت متحيزة ضد العمارة العثمانية لأسباب السياسة الدولية المعاصرة[4]. ولا شك أن هرتس شخصيًا كان عاشقًا للعمارة المملوكية واعتبر الطراز العثماني الذي سماه "الطراز الإسطانبولي" غريبًا عن العمارة المصرية دخيلاً عليها إلا أنه لم يلجأ إلى إزالة أجزاء معمارية

(4) انظر مثلاً :

- Paula Sanders: The Contest over Context: Fatimid Cairo in the Twentieth Century, in I. A. Bierman (ed.): Text & Context in Islamic Societies, Reading, 2004, p. 133-134.

تنتمي إلى العصر العثماني إلا في حالات تفاهة هذه الأجزاء فقط. ومن المعروف أن العصر العثماني الذي انحطت فيه مكانة مدينة القاهرة من عاصمة غنية لدولة عظمى إلى مركز ولاية من ولايات الدولة العثمانية تميز بهبوط عام في مستوى الفنون بسبب عدم توفر الأموال المطلوبة لأن الضرائب المستخرجة من الأراضي المصرية تركت مصر لكي تستخدم في تزيين عاصمة الإمبراطورية البهية. ولهذا السبب تتميز التدخلات العثمانية في المباني السابقة بتدني القيمة المعمارية والجمالية بصورة عامة بالمقارنة بآثار العصور السابقة[5]. وكانت هذه هي الحال خصوصًا في المآذن المملوكية التي كانت قد انهارت أجزاؤها العليا بسبب رشاقتها وكملت بقمم دميمة من الطراز العثماني وقام هرتس بتعويضها من قمم بالطراز المملوكي الجميل؛ ويمكننا تقدير هذه التدخلات بالاطلاع على الصور الفوتوغرافية القديمة. وبالطبع لم يلجأ هرتس أبدًا إلى مثل هذه التدخلات في آثار ذات قيمة معمارية وجمالية عالية من العصر العثماني مثل باب المزينين في الجامع الأزهر أو سبيل وكتاب الأمير عبد الرحمن كتخدا في سوق النحاسين. ومن ناحية أخرى صح أن هرتس تجنب عناصر الطراز العثماني في المباني المعاصرة معتقدًا أن الطراز الوطني لمصر الحديثة يجب أن يكون الطراز المملوكي دون العناصر العثمانية تأكيدًا للاستقلال النسبي في إطار الدولة العثمانية العلية.

بذل هرتس مجهودًا عظيمًا من أجل إزالة الدكاكين الملاصقة لواجهات عدد كبير من المساجد المملوكية وأخذت هذه المجهودات فترة طويلة بسبب المقاومة العنيدة لملاكي هذه الدكاكين ولكون عدد منها أوقافًا ومثّل نزع ملكيتها صعوبة كبيرة واحتاج إلى إجراءات قانونية معقدة. واتبع هرتس باشا في هذه العمليات المنهج المقبول في أوربا بما أن هذا المنهج قصد صيانة المباني من ناحية لأن الدكاكين الملاصقة للواجهات تؤثر عليها تأثيرًا مضرًا لأسباب عديدة منها مثلاً عرقلة تهوية الجدران مما يؤدي إلى تدهور حالتها ودمارها

(5) راجع د. حسام محمود مهدي : التدخلات العثمانية في منشآت العصور السابقة بالقاهرة - إشكاليات تواجه القائمين على الحفاظ والترميم المعماري ، أبحاث المؤتمر الثالث للدراسات العثمانية في مصر. تحرير د. دانيال كريسليوس، د. محمد حسام الدين إسماعيل. القاهرة ، 2004، ص 99.

التدريجي بسبب ارتفاع الرطوبة فيها؛ بالإضافة إلى استعمال البائعين للأقسام الداخلية من الآثار التي تتصل بدكاكينهم كموضع لجمع وحفظ الزبالة. ومن ناحية أخرى قصد هرتس باشا بتخلية الواجهات إعادة هذه الآثار إلى سابق رونقها لكي يستطيع المشاة والزائرون أن يستمتعوا بالرؤية الكاملة لأروع آثار العمارة العربية الإسلامية في كل العالم. أما وجهة النظر هذه فتجري مناقشات في يومنا هذا حول صحتها وإمكانية قبولها بما أن عددًا من المختصين يؤكدون أن بعض الدكاكين على الأقل وقفها الواقف نفسه على الأثر ولا يمكن اعتبارها زيادات مضرة أدخلتها الأجيال المتأخرة على المباني الأصلية. ويؤكد البعض الآخر أن إزالة هذه الدكاكين تقطع الروابط الوثيقة التي نشأت بين الأثر ومحيطه المباشر فاتقًا نسيج المدينة الطبيعي العريق؛ والمناقشة لم تنته إلى نتيجة قاطعة بعد. إلا أن بعض المرممين يفضلون اتخاذ موقع وسط وهو عبارة عن إنشاء دكاكين منفصلة عن واجهات المساجد الأثرية لأن الزائر لهذه المساجد يرى أن دكاكين جديدة تنشأ في محل الدكاكين المزالة بعد فترة قصيرة.

الآثار التي نعمت بأفضال هرتس

شغل هرتس باشا منصب باشمهندس لجنة حفظ الآثار العربية القديمة من سنة 1890 إلى آخر سنة 1914 لمدة ربع قرن وربما لا يوجد أثر في القاهرة لم يقم هرتس بالعناية به. وبطبيعة الأمر يجب أن يشمل وصفٌ مفصلٌ كاملٌ لنشاطاته معظم آثار القاهرة ولا يمكن تناول هذا الموضوع الواسع إلا في إطار تاريخ كامل لعمارة القاهرة. وبما أن هدفنا في هذا الموضع هو إعطاء صورة عامة لأنشطة هرتس باشا سوف نقتصر هنا لذلك على ذكر ووصف موجز لأهم مشروعاته وتدخلاته على الآثار بينما نشير إلى تفاصيل مثيرة مهمة في بعض الأحيان.

– **الجامع الأزهر** (أثر 97 ؛ 359/ 970) – جرت أعمال ترميمية واسعة النطاق في الجامع الأزهر في زمن هرتس باشا. وقد قام ديوان عموم الأوقاف بهذه الأعمال ولكن الديوان طلب من اللجنة أن يقوم باشمهندسها بإشراف على هذه الأشغال المهمة وهكذا كان هرتس باشا يقدم تقارير مفصلة للجنة عن سير الأشغال. وقام هرتس باشا نفسه

بالإصلاح الكامل للبواكي من العصر الفاطمي حول الصحن الكبير في سنوات 1890 - 1893 تقريبًا. وهدم أعمدتها وأكتافها ثم أعاد بناءها لأنها كانت متداعية، وأزال الجدران الداعمة التي كانت العقود محشوة بها بسبب ميلها وعدم استقامتها. وأزال أيضًا الكشك الحديث من ركن من أركان الصحن ونشاهد هذه الإضافات المتأخرة في الصور الفوتوغرافية القديمة. وكانت الأعمال صعبة معقدة وظهرت مشاكل جديدة خلالها ولم يستطع المقاول إتمام الأعمال المطلوبة واضطُر إلى استبداله بمقاول آخر. وهكذا أعاد هرتس الصحن إلى سابق رونقها. وربما كانت الصعوبات المذكورة هي السبب في أن الزخارف الداخلية على الأكتاف في الواجهة القبلية الشرقية للصحن لم ينجح هرتس في المحافظة عليها بوضعها الأصلي خلال هدم الأكتاف وإعادة بنائها لأن الزخارف الهائلة التي نشاهدها حاليًا تختلف عن الزخارف الأصلية[6]. ونفذ ديوان عموم الأوقاف أعمالاً ضخمة لتشكيل واجهة بحرية غربية جديدة للجامع بمناسبة إنشاء الرواق العباسي في أواخر القرن التاسع عشر. وبمناسبة هذه الأشغال قام هرتس باشا بترميم باب المزينين الذي يعتبر باب الجامع الرئيس. وحاول الديوان وهرتس أن يحتفظا بالكتّاب أعلي الباب ولكن اللجنة اعتبرته عديم القيمة المعمارية والتاريخية ونظرًا للصعوبات التي يشكلها حفظها قررت هدمه وإزالته[7]. وفي إطار هذه الأعمال قرر الديوان هدم وإزالة مأذنة

(6) مسائل مقتضى نظرها بمجلس الأوقاف الأعلي بجلسته التي - ستنعقد - في يوم الثلاثاء 21 مايو سنة 1904 ، نمرة 20. دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، محفظة عابدين 610. كراسة لجنة حفظ الآثار العربية القديمة، مجلد 7، سنة ١٨٩٠، ص 95-96 ؛ مجلد ٨ ، سنة 1891 ، ص 42. تقرير هرتس باللغة الفرنسية قدمه للجلسة الثانية والأربعين للجنة بتاريخ 24 مايو سنة 1890. صورة ما قاله القومسيون الثاني للجنة حفظ الآثار القديمة العربية ضمن تقرير نمرة 90 بشأن الجامع الأزهر، طبق الأصل تاريخ 7 صفر 1308. تقرير هرتس باللغة الفرنسية قدمه لأعضاء القومسيون الثاني بتاريخ 6 يناير سنة 1892 . ملف الأزهر (أثر 97). إدارة المحفوظات الإسلامية والقبطية، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة. راجع أيضًا :

- K.A.C. Creswell: The Muslim Architecture of Egypt, Oxford, 1952-1959, vol. I, p. 41-42, 42 (note 1), 44, 49-52, 254-257.

(7) تلخيص رسالة ديوان عموم الأوقاف للجنة بتاريخ 2 يناير 1896 وإجابة هرتس بتاريخ 12 يناير 1896. تلخيص إجابة ديوان عموم الأوقاف بتاريخ 24 يونيو 1897 على رسالة اللجنة بتاريخ 13 يونيو 1897. إدارة المحفوظات الإسلامية والقبطية، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة.

الأمير عبد الرحمن كتخدا جنب باب المزينين باعتباره المأذنة "ذات طراز غير عربي" لكي تكون للجامع واجهة منظمة مستقيمة موحدة نسبيًا. ومن المعروف أن الجامع لم تكن له واجهة من قبلُ لأنه كان مشتبكًا في نسيج المباني المحيطة به تشبكًا تامًا. وطلب مدير عام الديوان رأي اللجنة في هذا الموضوع وفرنس باشا وهرتس باشا لم يريا مانعًا من هذه الخطوة المقترحة[8]. وقامت اللجنة بترميم المدرسة الجوهرية تحت إشراف هرتس باشا سنة 1896 ومن ناحية أخرى أجرى هرتس أعمال الترميم على المدرستين الأقبغاوية والطيبرسية سنة 1897. ووضع هرتس مأذنة السلطان الغوري تحت مراقبة صارمة بإجراء تفتيش دوري عليها من سنة 1896 حتى سنة 1908 بسبب ميلها المهدد بالخطر واضطر هرتس خلال هذه الأعمال إلى الإزالة المؤقتة للقمة الكروية الشكل القبلية الشرقية من المأذنة.

- **الجامع الأقمر** (أثر 33 ؛ 519/ 1125) - قام هرتس بإخلاء الثلثين الشماليين للواجهة الرئيسة وأزال المحلات المشوهة والحاجبة لها. وطالت هذه العمليات بسبب المصاعب القانونية لكونها أوقافًا ولأن مفتي الديار المصرية أفتى بأن الشريعة لا تسمح بإزالة محلات موقوفة بعلَّة إخلاء واجهات المساجد. وأخذ حل هذه المشاكل قرابة 12 سنة في بداية القرن العشرين ولكن هذا المشروع أحدث ضجة حقيقية فور انتهائه لما ظهرت الواجهة بكل رونقها والتي لم يكن يتصور أحدٌ جمالها وعظمتها بسبب كونها محجوبة تمامًا. وبذل هرتس باشا مجهودًا عظيمًا من أجل تخلية الثلث الباقي من الواجهة لقيمتها الفنية والتاريخية الهائلة ولكنه فشل في مجهوداته وأخلتها أخيرًا طائفة البهرة الإسماعيلية الشيعية من الهند بين سنتي 1987 و1995 بعد أن نجحت في توفير تعويض مقبول لمالكي المحلات الحاجبة لباقي الواجهة . إلا أن البهرة اكتشفوا أن معظمها كانت خالية لأن أغلبية زخارفها كانت قد تلاشت بمرور السنين وقاموا لذلك بإعادة تشكيلها على مثال الثلثين الموجودين. وتوجد مراسلة جديرة بالذكر في إدارة المحفوظات

(8) رسالة مدير عام الأوقاف إلى اللجنة بتاريخ 10 أبريل 1894 وملاحظة هرتس على ظهرها. ملف الأزهر (أثر 97). إدارة المحفوظات الإسلامية والقبطية، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة.

الإسلامية والقبطية في المجلس الأعلى للآثار بالقاهرة من سنة 1903 يشير هرتس فيها إلى أن بعض الأحجار المنقوشة بكتابات تم خلطها على الواجهتين الغربية والشمالية وعاتب المهندس كليبل Klippel على خطئه عتابًا شديدًا. وكتب كليبل في رده الأول أنه كان يبذل كل الجهود في هذه العملية بما قام هو شخصيًا من ترقيم الأحجار ومراقبة الترتيب الصحيح ولا يستطيع أن يتصور كيف حدث مثل هذا الخطأ المنكر. وأما رده الثاني فكتب فيه أنه بحث الموضوع بحثًا دقيقًا ووجد أنه لا يمكن إرجاع الأحجار إلى الترتيب الصحيح بسبب الأحجام المختلفة للأحجار ولذلك رأى أن الخلط قد حدث في زمن من الأزمان المتقدمة وربما خلال عمليات ترميم سابقة[9]. وأما مأذنة الجامع فلم يقم هرتس بترميمها أو بإعادة بنائها لسبب عدم معرفتنا بالمآذن الفاطمية رغم أن الجزء الكبير من المأذنة الحالية عبارة عن قطعة بسيطة قبيحة من العصر العثماني ليست لها أية قيمة فنية أو تاريخية.

- **مجموعة السلطان المنصور قلاوون** (أثر 43 ؛ 683-684/ 1284-1285) - كان الترميم الكامل لهذه المجموعة المعمارية الهائلة من مشاريع هرتس الأخيرة ولكنه لم يستطع إتمامه لأنه طُرد من مصر قبل تكميل الأعمال. وبدأ بالترميم الكامل لضريح السلطان حيث مثوى صاحبه وتلفت النظر هنا إعادة هرتس لبناء قبة الضريح. ومن المعروف أن الأمير عبد الرحمن كتخدا هدم أعلى القبة الكبيرة سنة 1190/ 1776- 1777 ولم يعد عمارتها بل سقف الضريح فقط، وهدم أيضًا القبة التي كانت بأعلى الفسحة من خارج الضريح ولم يُعِدْ عمارتها بل تركها مكشوفة. ومن المحتمل أنه هدم القبتين بسبب تدهور حالتهما[10]؛ ولا نعرف هل القبتان اللتان هدمهما الأمير كانتا القبتين الأصليتين أم لا.

---

(9) رسائل من 9 و11 و22 يوليو و٦ أغسطس سنة 1903 . ملف الجامع الأقمر (أثر 33). إدارة المحفوظات الإسلامية والقبطية، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة. وربما يحتاج هذا الموضوع إلى مزيد من البحوث .

(10) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، تحرير عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، القاهرة 1997- 2003 ، ج 2 (3) ، ص 9. د. آمال العمري : دراسة جديدة على ضريح المنصور قلاوون بالنحاسين، دراسات آثارية إسلامية، مجلد 3، سنة 1988، ص 47 - 61.

وهكذا كان الضريح عديم القبة في عصر هرتس باشا. وأعاد هرتس بناء قبة الضريح على مثال قبة تربة الأشرف خليل ابن قلاوون بجهة السيدة نفيسة في القرافة لأنه رأى أن "زي" قبة قلاوون - أي شكلها - محفوظ في قبة تربة ابنه "وأسطوانة" هذه القبة – أي طبلها أو طبليتها – تشابه كثيرًا "أسطوانة" قبة قلاوون ولذلك رأى أيضًا أنه "لا صعوبة في إعداد القبة الناقصة". وقصد هرتس إعادة بناء القبة الأخرى أيضًا كما يتبين هذا من الرسوم المحفوظة في إدارة المحفوظات الإسلامية والقبطية في المجلس الأعلى للآثار بالقاهرة ولكنه لم يفعل هذا آخر الأمر لسبب مجهول[11]. وأراد هرتس إعداد قبة الضريح من "طوب مفروغ" لأنه من المعروف أن القبب عملت أصلاً من طوب محروق وبعد ذلك من حجر الجير أيضًا واعتبارًا من القرن السابع عشر من الخشب. ولقد استعمل هرتس الطوب في إعداد قبة جامع السلطان برقوق أيضًا ولكن الخواجة سيلفاني (Carlo Virgilio) Silvagni المقاول الإيطالي الأصل الذي اشترك في العديد من مشاريع اللجنة الترميمية تقدم بعطاء اقترح فيه تجديد القبة بطريقة هنبيك Hennebique الحديثة لأنها "ذات متانة وخفة في الثقل" وتوفر نحو 141 جنيهًا وكسور من النفقة المقدرة لها بالمقايسة[12]؛ وقُبل عطاؤه. وكانت طريقة هنبيك المذكورة طريقة حديثة معاصرة يومئذ والتي كانت عبارة عن بناء من الخرسانة المسلحة وضع أساسه فرانسوا هنبيك في التسعينات من القرن التاسع عشر رغم أننا ربما لا نوافق على استعمال الخرسانة المسلحة في مثل هذه المشاريع في يومنا هذا. ومن ناحية أخرى كانت قاعدة الجدار قد بدأت تتدهور وأخذت كسوته الرخام تتفتت وذلك لانعدام التهوية بسبب ملاصقة الدكاكين المعروفة

(11) كراسة لجنة حفظ الآثار العربية القديمة ، مجلد 18 ، سنة 1901 ، ص 149. توافق كلمة "زي" كلمة "galbe" في نص الأصل الفرنسي الملحق بالكراسة ولا شك أن قصد هرتس هنا هو الشكل والمنظر للقبة ولكنه من الواضح أن "زي" قبة قلاوون لم يكن معروفًا في الحقيقة وإنما توقع هرتس تشابه القبتين. انظر رسمًا لإعادة بناء قبة الفسحة في دراسة د. آمال العمري المذكورة ، ص 55 (شكل3).

(12) مسائل مقتضى نظرها بمجلس الأوقاف الأعلى بجلسته التي ستنعقد في يوم الثلاثاء 12 أبريل سنة 1904 ، نمرة 51. دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، محفظة عابدين 610.

للواجهة الرئيسة الحاجبة لها. وبدأ هرتس أعمال الترميم بإزالة الدكاكين التي تطلبت مجهودات مطولة متصلة. وأنشأ هرتس خندقًا أمام واجهة الضريح لإخلائها الكامل وعزلها من أجل حمايتها من الرطوبة لأن مستوى أرضية الشارع كان قد ارتفع بطول إنسان تقريبًا خلال مئات السنين. وأكمل هرتس عمله هذا أيضًا بنجاح ممتاز. أما المارستان فكان أعظم وأروع منشأة طبية في العالم كله في أيام إنشائه ولكنه تأثر بتقلبات العصور تأثرًا شديدًا وتدهورت حالته إلى درجة كبيرة حتى إنه لم تبق منه إلا بقايا قليلة جدًا. وقام هرتس بحفريات اكتشف خلالها بعض الآثار الفاطمية من أهمها ألواح الخشب المنحوتة وحوضان من فسيفساء الرخام وشاذروانان أو سلسبيلان في الإيوانين الشرقي والغربي ولقد ضاع معظمها إلى يومنا هذا. وظهرت مشكلة كبيرة جرت بسببها مناقشات مطولة بين ديوان عموم الأوقاف واللجنة لما قرر الديوان إنشاء محل جديد لمستشفى قلاوون الرمدي الخيري في صحن المارستان القديم ضمن الإصلاحات الضرورية للمستشفى لأن اللجنة اعتبرت إنشاء مبنى حديث في وسط أهم أثر مدني في مصر جريمة كبيرة بخصوص أن عدد الآثار المدنية قليلة للغاية ورفضت هذه الفكرة رفضًا قاطعًا. وكان الديوان يبحث عن قِطَع أرض ومحلات مناسبة مجاورة لمجموعة قلاوون ابتداءً من أول نشوء هذه الفكرة سنة 1896 إلا أنه لم ينجح في شرائها لأن بعض المُلَّاك طلبوا مبالغ جسيمة في أثمان محلاتهم. ومن ناحية أخرى رأي الديوان أيضًا أن بناء مستشفى تابع لوقف قلاوون في موضع مجاور لمجموعة السلطان ربما لا يساعده شرط الواقف لوجود مستشفاه داخل مسجده وهو "المرصد للصرف عليه من إيراد وقفه". وأصر الديوان على المشروع وأتم إنشاء المستشفى الجديد سنة 1910[13]. أما المدرسة فكانت حالتها سيئة عند بدء الأعمال لأن بعض أجزائها كانت ناقصة بسبب تقلبات مئات السنين وبعض أجزائها الآخر قد شوهته تدخلات الأجيال المتعاقبة. وأزال

(13) مسائل مقتضى نظرها بمجلس الأوقاف الأعلى بجلسته التي - ستنعقد - في يوم الخميس 8 مايو سنة 1905، نمرة 43. دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، محفظة عابدين 611.

- Max Herz-Pascha: Die Baugruppe des Sultans Qalaun in Kairo, Hamburg, 1919, p. 45-46.

هرتس معظم آثار هذه التدخلات وفتح العقود المسدودة وأعاد الأعمدة المتداعية إلى الخط الرأسي وقواها قاصدًا إعادة بناء المدرسة وترميمها الكامل إلا أنه لم يستطع إتمام هذا المشروع بسبب طرده من مصر أواخر سنة 1914 وقام خلفه في وظيفته أكيلي باتريكولو Patricolo Achille بتكميل المشروع. ويتبين في المدرسة المرممة أن تصورات باتريكولو عن المدرسة اختلفت عن تصورات هرتس باشا التي نعرفها من الرسم المطبوع في دراسته عن مجموعة قلاوون التي صدرت بعد وفاته. ويظهر هذا الرسم اعتقاد هرتس أن هذا البناء قد تأثر بالعمارة الأوربية تأثرًا عميقًا كما يتبين هذا التأثير المتميز في عمارة الضريح ومنظر واجهته أيضًا. ذلك أن هرتس اعتقد أن العرب والأوربيين تبادلوا تأثيرات عديدة خلال الفترات السلمية الهادئة في عصر الحروب الصليبية[14]. وأورد هرتس معلوماته ونتائج أعماله في ترميم مجموعة قلاوون ونتائج بحوثه في هذا الموضوع في مؤلف هائل لم يعش ليشهد صدوره. وهذا الكتاب عبارة عن دراسة مفصلة عميقة عن أثر من أهم الآثار الإسلامية في مصر ولكن هرتس ألفه في ظروف سيئة في منفاه في سويسرا وهو عاجز عن مراجعة كتبه وأوراقه وصوره الفوتوغرافية وأرشيف اللجنة ومجموعتها للصور الفوتوغرافية ومكتبتها لأن كل هذا كان في القاهرة. ومن المعروف أن هرتس اضطر إلى ترك معظم ممتلكاته في مصر عند مغادرته المفاجئة للبلاد، وهكذا إنه من دواعي الأسف الشديد ومن سوء حظ علم التاريخ وتاريخ الفنون أن هذا المؤلَّف العظيم لا يمثل الملكات الحقيقية لمؤلفه[15].

- **جامع السلطان حسن** (أثر 133 ؛ 757-764/ 1356-1362) - يعد جامع السلطان حسن من أجمل الآثار العربية الإسلامية في مصر بل يعتبره بعض المتخصصين ومحبي العمارة الإسلامية أروع أثر إسلامي في كل العالم مطلقًا. وكان هذا المبنى الهائل في حالة تدعو للقلق في القرن التاسع عشر بسبب تأثيرات تقلبات القرون. ونوى هرتس

(14) انظر وصف ضريح قلاوون في تاريخ الفن الإسلامي لهرتس بك باللغة المجرية الذي صدر في تاريخ فنون العالم تحت إشراف وزارة التعليم المجرية في بودابست سنة 1907 ، ص 149- 251.

Herz-Pascha: Die Baugruppe..., Tafel 27, Abb. 37.

(15) Herz-Pascha: Die Baugruppe.

إعادة بنائه بالكامل ولكن مثل هذه الأعمال تتطلب أموالاً كبيرة جدًّا لم تكن متوفرة لدى اللجنة. ومن أجل لفت الأنظار ألف هرتس ونشر كتابًا ضخمًا عن هذا الأثر العظيم[16] ونجح آخر الأمر في جمع المبالغ المطلوبة. وبدأ مشروع الترميم الكامل في بداية القرن العشرين وأتمها أيضًا قبل طرده المفاجئ من مصر بعد شبوب الحرب العالمية العظمى الأولى ولم تبق إلا أعمال بسيطة جدًّا أكملها باتريكولو خلال الأعوام التالية. وهكذا حالف هرتس النجاح في الإبقاء على هذا الأثر الخالد ذخرًا للأجيال القادمة. وكان هرتس على يقين من أن القبة الأصلية كانت قد سقطت سنة 1660 م وأعيد بناؤها في عصر الوالي العثماني إبراهيم باشا (كان واليًا من سنة 1661 م إلى سنة 1664 م) بشكل يختلف عن شكلها الأصلي لأن القبة الأصلية كانت أكثر ارتفاعًا وبيضية الشكل – ربما مثل قبة مدرسة الأمير صرغتمش – وكان سطحها مزخرفًا أيضًا حسب الأخبار المعاصرة. ولكن هرتس قرر إعدادها بشكلها العثماني الذي يشابه قبة مسجد سنان باشا ببولاق (979/ 1571) وقبة مسجد محمد بك أبي الذهب (1188/ 1774) جنب الأزهر لأنه لم تتوفر لديه المعلومات الوافية لترميمها بشكلها الأصلي. واستعمل هرتس الخرسانة المسلحة في هذا المشروع أيضًا[17]. وكانت حالة بلاط الصحن سيئة جدًا ولقد رأى هرتس أن ترميمه يُعد مشكلة كبرى لأنه اعتقد أول الأمر أن أرضيته اللطيفة الدقيقة الصنع لا يمكنها أن تكون هي الأرضية الأصلية بل ترجع إلى ترميم قديم مجهول التاريخ ؛ لأنه رأى أن الصحون المتسعة المفتوحة تتميز بأرضيات بسيطة ذات رسومات كبيرة وذلك بسبب التأثيرات المضرة للطقس والجو. وأما الأرضية المشغولة شغلاً دقيقًا والتي بها لحامات عديدة فهي "لا تمكث" زمنًا طويلاً تحت التأثيرات الجوية وتستدعي وجود السقف؛ ولذلك يقتصر استعمالها على الصحون المسقفة الموجودة في الجوامع الصغيرة الحجم فقط. إلا أن هرتس غيَّر رأيه خلال سير الأعمال ؛ لأن مقارنة الصور الفوتوغرافية

---

(16) Max Herz Bey: La mosquée du Sultan Hassan au Caire, Le Caire, 1899 وصدر هذا الكتاب بترجمة علي بك بهجت إلى اللغة العربية. ماكس هرتس بك: جامع السلطان حسن بمصر ، القاهرة 1319 / 2190.

(17) Herz Bey: La mosquée du Sultan Hassan..., p. 17-18, 23, 26, 28.

التي عملت قبل الترميم والتي عملت بعده تثبت أنه قام بترميم الأرضية على ما كانت عليه ولم يغير صورتها وتركيبها. أما الشرفات التي لم يزل بعضها متوجًا في يومنا هذا أعلى واجهات الضريح والواجهة الشمالية الشرقية فتظهر في صور عديدة في النصف الأول من القرن التاسع عشر لكنها كانت ناقصة في عصر هرتس؛ ومثل هذه الشرفات موجودة في بعض المباني المملوكية أيضًا. وشرع هرتس بإعادة وضعها إلا أن أحد أعضاء المجمع العلمي المصري أونوفريو أبّاتي باشا Pasha Abbate Onofrio[18] انتقد هذه الخطوة نقدًا شديدًا ورفض إعادة وضعها رفضًا قاطعًا لاعتباره أن الشرفات عناصر غريبة دخيلة في هذه الأجزاء من الجامع. وجرت مراسلات ومناقشات حادة مطولة في اللجنة حول صحة هذه الخطوة أم بطلانها فانضم أعضاء اللجنة إلى جانب باشمهندسها مؤيدين وجهة نظره باعتبارهم أباتي باشا رجلاً محترمًا غير متخصص في هذا المجال لا يُلْقَى بالٌ لرأيه فضلاً عن أنه أكد عدم كونه خبيرًا في العمارة العربية الإسلامية وتاريخها بل هاويًا عاشقًا لها فقط باعتباره طبيبًا. والحقيقة أنه لا يوجد دليل مطلق قاطع على وجود هذه الشرفات الأصلي على كورنيش الجامع لأن الصور والرسومات التي تظهر الشرفات المذكورة فيها قد عملت بعضها عن بعض ولا شك أن معظمها يرجع إلى مؤلفات باسكال كوستPascal Coste المعروف بعدم دقة صوره ورسوماته بالنسبة إلى كل تفاصيلها. ولم تقنع أباتي باشا المحاولات لاكتشاف آثار تثبيت الشرفات ومن الواضح أيضًا أن هرتس نفسه كان متأكدًا من وجود هذه الشرفات الأصلي. ومن ناحية أخرى ليس عندنا أي دليل يثبت أن هرتس اعتمد على صور ورسومات كوست فقط في نظره في الشرفات[19]. ولقد وضعها هرتس في آخر الأمر على كورنيش الضريح وهي لم تزل

(18) طبيب إيطالي ولد سنة 2418 في بالرمو في إيطاليا وتوفي سنة 1915 في القاهرة، كبير الأطباء في الجيش المصري ورئيس الجمعية المصرية الخديوية للجغرافيا.

(19) Herz Bey: La mosquée du Sultan Hassan..., p. 26-28, pl. IV, X. Procès-verbal du 2 Mai 1904, Bulletin de l'Institut Égyptien 4. sér., no. 5, fasc. 3, 1904, p. 94. Onofrio Abbate: Observations d'urgence sur les réparations à la mosquée du Sultan Hassan, Bulletin de l'Institut Égyptien 4. sér., no. 5, fasc. 3, 1904, p. 95-98. Id.: Lettres à S. E. Yacoub Artin Pacha, Bulletin de l'Institut Égyptien 4. sér., no. 5, fasc. 5, 1904, p. 148-153. Procès-verbal du 5 décembre, Bulletin de l'Institut Égyptien 4. sér., no. 5, fasc. 5, 1904, p. 142-143.

موجودة إلى يومنا هذا. ووضعها أيضًا على الكورنيش المتوج للواجهة العظيمة الشمالية الشرقية ولكن هذه الشرفات الأخيرة قد تلاشت وناقصة حاليًا. ورمم هرتس قبة الفسقية الكبيرة الجميلة في وسط الصحن. ومن المعروف أن فسقية أخرى صغيرة كانت موجودة أيضًا جنب الفسقية الكبيرة الأصلية قبل الترميم. واعتبر هرتس الفسقية الصغيرة منشأة متأخرة التاريخ عثمانية غريبة بالنسبة إلى جامع السلطان حسن دخيلة عليه ولكنه رأى من ناحية أخرى أن الفسقية الصغيرة "هيئة" – أي تركيبة – على مستوى مقبول يمثل ذوق عصره ولذلك يجب الاحتفاظ بها. وقرر نقلها إلى جامع المارداني الذي جرى ترميمه في الوقت نفسه والذي لم تكن فيه فسقيةٌ وتم نقلها إلى الصحن المرمم. وانتقد كثيرون هذا القرار مفتقدين المنظر الرائع للفسقية الصغيرة في صحن جامع السلطان حسن وتحت تأثير هذه الانتقادات والاعتراضات قررت اللجنة إرجاع الفسقية إلى مكانها السابق. إلا أن فضيلة شيخ الأزهر اعترض على القرار الجديد اعتراضًا شديدًا باعتباره أن طلاب الأزهر الدارسين في جامع المارداني والذين بلغ عددهم قرابة 1500 احتاجوا إلى الفسقية التي نصبت هناك؛ ومن المعروف أن الجامع الأزهر كان مضطرًا في هذه السنين إلى اللجوء إلى التدريس في بعض المساجد والجوامع الأخرى إضافةً إلى الجامع الأزهر نفسه لكثرة الدارسين. وسأل هرتس اللجنة عن رأيها في الموضوع وقررت اللجنة ترك الفسقية كما هي في مكانها الجديد[20]. واكتشف هرتس خلال أعمال الترميم بقايا ميضأة جامع السلطان حسن الأصلية ورممها هي أيضًا وكرس مقالة علمية عن الفسقيتين والميضأة. ذلك أنه تساءل لماذا أنشأ العثمانيون فسقية صغيرة جديدة جنب الفسقية الرائعة الكبيرة الأصلية؛ ومن ناحية أخرى اهتم هرتس بالعلاقة بين الفسقية الكبيرة والميضأة متسائلاً لماذا استعمل المصلون الفسقية الكبيرة للوضوء رغم وجود ميضأة مخصصة لهذا الغرض في الجامع ولماذا توقفوا عن استعمالها حتى إنها تدهورت واختفت تمامًا فيما بعد. وأكد هرتس أن الفسقية الكبيرة قد أنشئت للزينة فقط ولرفع رونق وجمال الصحن بينما أقيمت ميضأة مخصوصة للوضوء في جناح من أجنحة المبنى

(20) Herz Bey : La mosque ..., p. 28, note 2. Comité Bulletin vol. 20, 1903, p. 6, 37; vol. 21, 1904, p. 51; vol. 29, 1912, p. 99, 112; vol. 30, 1913, p. 80; vol. 31, 1914, p. 54-55.

ولكن العثمانيين الذين كانوا قد تعودوا في مناطقهم المركزية في الأناضول على الوضوء في صحون الجوامع حسب بنية الجوامع العثمانية المختلفة عن بنية الجوامع المصرية التزموا عادتهم في ولايتهم الجديدة أيضًا وأنشؤوا فسقية جديدة – هي خزان ماء بسيط بصنبور مغطى بقبة خشبية – جنب الفسقية الأصلية الكبيرة في الصحن لأن مذهب الإمام أبي حنيفة الذي ينتمي معظم العثمانيين إليه يشترط استعمال الماء الجاري للوضوء خلافًا لمذهب الإمام الشافعي المنتشر في مصر الذي يعد أن الوضوء يصح في حوض الفسقية الكبيرة الأصلية واقتدي المصريون بالعثمانيين وأهملوا الميضأة التي هُجرت واختفت تمامًا. وكانت هذه المقالة مثيرة للاهتمام إلا أن هرتس أخطأ لما أكد أن الفسقية الكبيرة كانت قد أنشئت للزينة فقط لأن وقفية الجامع التي لم تكن معروفة في عصر هرتس والتي لم يكتشفها الدكتور مصطفى صالح لمعي إلا في الستينات من القرن العشرين تثبت أن الفسقية الكبيرة في وسط الصحن أنشئت من أجل الوضوء أيضًا كما كان الحال مع الميضأة[21]. وكان هذا هو الحال في جوامع أخرى مثل مدرسة الأمير صرغتمش التي بنيت سنة تأسيس جامع السلطان حسن (757/ 1356). أما رأي هرتس في عدم إمكانية الوضوء في حوض الفسقية الكبيرة وسط الصحن لسبب قربها من الإيوان القبلي والمحراب للتعارض بين نجاسة مكان الوضوء وقداسة الإيوان القبلي والمحراب ، فمن المحتمل أنه يرجع إلى رؤيته عن الكنائس المسيحية. إلا أننا نقرأ في المقريزي محادثة ظريفة في باب الجامع الأقمر تشير إلى رأي منافر في هذا الموضوع حيث قال المقريزي إن أميرًا من المماليك جدد الجامع سنة 799/ 1396 وجدد في صحن الجامع بركة لطيفة يصل إليها الماء من ساقية وجعلها مرتفعة ينزل منها الماء إلى من يتوضأ من بزابيز نحاس وقال له المقريزي إن عمل بركة الماء لم يعجبني لأن بركة الماء تضيق الصحن وقد أنشأت ميضأة بجوار أحد

(21) Max Herz: Observations critiques sur les bassins dans les sahns des mosquées, Bulletin de l'Institut Égyptien 3. sér., no. 7, 1896, p. 47-51.

مصارف وقف السلطان حسن. ملحق بتذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه للحسن بن عمر بن الحسن ابن عمر بن حبيب ، تحقيق د. محمد محمد أمين ، القاهرة ، 1976- 1986 ، الجزء الثالث ، ص 388 (انظر السطرين 1202 و 1203).

أبوابه واحتج الأمير بأن في البركة عونًا على الصلاة لقربها من المصلين[22]. وأما التفريق بين الحوض للشافعيين وخزان الماء البسيط بصنبور – المسمى بحنفية – للحنفيين فهو معروف في مصر: مثلاً بُنِيَ مسجد الأمير محمد في مدينة أخميم في الصعيد سنة 1095/ 1683 في العصر العثماني واشترطت حجة وقفه تزويده بحنفية معدة لوضوء "السادة المقلدين للإمام أبي حنيفة" – ومن المحتمل أنه قصد "بالحنفية" هنا الخزان المذكور – وبفسقية معدة لوضوء الشافعية والمالكية – وقصد بالفسقية هنا الحوض الذي ذكرناه أعلاه. أما أَمْرُ هذا التفريق هل يرجع إلى التقاليد فقط أم له أصل في فقه العبادات فيحتاج إلى بحث خاص في المستقبل - إن شاء الله تعالى - إلا أن أمر هذا المسجد يثبت الدور المهم من عادات وتقاليد الأجيال المتقدمة في تخطيط الجوامع إلى درجة كبيرة لأن ما يخص مجرد طهورية الماء فصح استعمال خزان الحنفيين لوضوء الشافعيين والمالكيين أيضًا ولم يكن ضروريًا إنشاء حوض خاص لهم[23].

- **مدرسة السلطان برقوق** (أثر 187 ؛ 786- 788/ 1384-1386) - قام هرتس بالترميم الكامل لهذه المدرسة الرائعة في السنوات العشر الأخيرة من القرن التاسع عشر أصلح خلاله إصلاحًا كاملاً السقف المحلي في الإيوان القبلي أيضًا. ويتكون هذا السقف من ثلاثة أجزاء وأما الجزء الأوسط فشكلت حالته السيئة صعوبة كبيرة لأن ألوانه قد كَلَحَتْ إلى درجة أنه لم تكن موجودة إلا أجزاء بسيطة للغاية منها. واعتنى هرتس بترميمه

(22) عبد اللطيف إبراهيم: نصان جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد 37 ، سنة 1965 ، ص 146. تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي: كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، بولاق ، 1270 ، الجزء الثاني ، ص 290 . المرجع نفسه بتحقيق د. أيمن فؤاد سيد ، لندن ، 2002- 2003 ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ، ص 154.

(23) جمال عبد الرؤوف عبد العزيز: مسجد الأمير محمد بأخميم من خلال حجة وقفه 1095 / 1683، دراسات وبحوث في الآثار والحضارة الإسلامية. الكتاب التقديري للآثاري عبد الرحمن محمود عبد التواب ، القاهرة ، 2000- 2001 ، الجزء الأول ، ص 91 ، 98 ، 101.

- Julius Franz-Pascha: Die Baukunst des Islam, 2nd ed., Darmstadt, 1896, p. 126. John Michael Rogers: Sinan, (Makers of Islamic Civilization), London, 2006, p. 17.

عناية كبيرة وبذل مجهودًا عظيمًا في المحاولات من أجل إصابة الألوان الأصلية خصوصًا بالنسبة إلى أصنافها ودرجاتها. وكانت المسألة هي: هل يستخدم ألوان زاهية طازجة كتلك التي رآها المصلون عند انتهاء البناء وقبيل افتتاح المدرسة، أم تستخدم ألوان ضعيفة يبدو عليها فعل الزمان ومنسجمة مع عبق التاريخ؟ ومن أجل حسم هذه القضية قام هرتس بإعداد نماذج بألوان متفاوتة الدرجات، وقدمها للجنة للتصويت لصالح أفضلها، وقد صوتت اللجنة ، وبعد نقاش طويل اختار هرتس آخر الأمر الألوان الزاهية المضيئة. ويرى معظم المتخصصين في عصرنا هذا أن هذا الحل قد حالفه التوفيق إلا أن الزخارف المتألقة أدهشت بعض المعاصرين الذين كانوا قد تعودوا على الألوان الضعيفة المخففة في الآثار القديمة ولكن أغلبية المواطنين المصريين والهواة الأجانب شاركوا وما زالوا يشاركون خبير الآثار الكبير حسن عبد الوهاب في تقديره لنتيجة هذه المجهودات والذي كتب ما يلي عن أعمال الإصلاح في البرقوقية بصورة عامة فيما يشتمل على سقف الإيوان القبلي أيضًا: "والحق أنه عمل جليل يعد من مفاخر هذه اللجنة وبرهانًا ساطعًا على مقدار دقتها وعنايتها بالآثار الإسلامية"[24]. والحقيقة أن مشكلة درجات الألوان مشكلة كبيرة معقدة لا يمكن حلها بطريقة بسيطة سهلة والمشكلة الأساسية هي أن كل الألوان تتغير مع مرور السنين بسبب التغيرات الذاتية للمركبات الكيماوية التي تتركب الألوان منها وتحت تأثيرات البيئة مثل الحرارة والبرودة والرطوبة فضلاً عن أن هذه التغيرات ليست متعادلة بل تختلف من طلاء إلى آخر ومن مزيج إلى آخر. وليست لدينا معلومات عن درجات هذه التغيرات البتة لأن كل الألوان تخضع لمثل هذه التغيرات بلا استثناء ولا توجد عندنا عينات موثوق بها مستقلة من أي عصر سابق. ولذلك وجب علينا أن نسأل أنفسنا عن أصل وصلاحية معلومات هرتس باشا هل هي موثوق بها أم لا وإذا كان جوابنا بالإيجاب فإلى أي حد يمكننا أن نوافق على ترميماته للألوان. وأنا شخصيًا أظن أن

(24) حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1994 ، ص 197. فيما يخص النماذج الكبيرة الحجم انظر:

- Ludwig Borchardt : Max Herz-Pascha, Zentralblatt der Bauverwaltung 39, 1919, p. 368.

خبرة هرتس الكبيرة الناجمة عن اشتغاله الكلي بالآثار وتكريس حياته لها، فضلاً عن معارفه العميقة بجوانب الفن التطبيقي في مصر والعالم الإسلامي وكذا اطلاعه الواسع على المخطوطات المصورة؛ كل هذا كفل له صواب المنحى على قدر الإمكان فيما سلك من طريق لترميم الألوان. ذلك أنه يغلب على الظن أن الإحاطة بهذه المجالات كلها علمًا تعطي صورةً عامةً موثوقًا بها إلى درجة كبيرة عن الألوان لأن العدد الكبير من النماذج يستبعد الأخطاء بقدر الإمكان بما أنه يساوي بين الأمثلة المتطرفة ويستبعد القيم القصوى المصادفة. وبطبيعة الحال لا يمكننا التوصل إلى نتيجة مطلقة في هذا المجال إلا أن الفكرة الأساسية وراء هذا التعليل هي أن أغلبية الألوان تحتفظ بدرجاتها الأصلية ولا تخضع للتغيرات المذكورة إلا أقلية بسيطة منها ومن الممكن تجنب الدرجات المتطرفة على هذا السبيل.

ولقد ارتأى هرتس أن الدكة والحنفية الحديثتي الصنع البسيطتين لم تتفقا ورونق المدرسة وقرر الاستعاضة عنهما بمنشأتين مكافئتين لأن الدكة والفسقية الأصليتين لم تتوفر عنهما أية معلومات. وكانت الحنفية التي وصفها هرتس "بالحنفية القبيحة" عبارة عن خزان ماء بسيط مزود بصنابير كائنة في وسط الصحن. وطلبت اللجنة منه اقتراحات بخصوصهما وتقدم هرتس برسمين للدكة عمل أحدهما "حسب وضع" الدكة في جامع المؤيد شيخ والآخر "حسب وضع" دكة جامع السلطان حسن. وأما الفسقية فأعد رسمًا لها "حسب وضع" الفسقية الكبيرة في صحن جامع السلطان حسن. واعتمد هرتس في رسوماته على هذين الجامعين لأنهما شُيِّدا في عصر إنشاء البرقوقية تقريبًا. ولقد ناقشت اللجنة الرسومات واقترحت بعض التعديلات البسيطة بالنسبة إلى رسم الفسقية وأما الدكة فقبلت الرسم "حسب وضع" دكة جامع المؤيد شيخ. وقام هرتس بإعدادهما خلال أعمال الترميم وما زالتا تزينان إيوان المدرسة القبلي وصحنها. وبصرف النظر عن بعض الانتقادات من جانب فرانس باشا بخصوص هيئتهما الحديثة[25] فإن الأجيال التي تلت تُعْجَبُ بهما وتشير إليهما بعض المؤلفات العلمية باعتبارهما نموذجين رائعين للعمارة

(25) Julius Franz Pascha: Kairo, Leipzig, 1903, p. 85-86.

المملوكية ولا ريب أن هرتس باشا لو كان لا يزال على قيد الحياة لاعتبر هذا ثناءً لا يعلوه ثناء ولطابت نفسه وقرت عينه[26] إلا أن سكان المنطقة لم يرضوا عن الفسقية الجديدة لأنهم قد تعودوا على الوضوء في وسط الصحن وتمسكوا بعادتهم وتقدموا بطلب بهذا الخصوص إلى ديوان عموم الأوقاف. ولكن اللجنة اقترحت رفض الطلب بإشارة هرتس باشا إلى أن ميضأة المدرسة الأصلية ما زالت في حالة ممتازة ولذلك يرجى استعمالها فيما بعد: "إنها الوضوء له دورة خصوصية تاريخها من مدة تأسيس الجامع". واعتمد هرتس في رفض هذا الطلب على رأيه عن دور وهدف الفساقي في صحون الجوامع والذي يتمثل في قوله عن جامع برقوق حيث قال: "هذه الفسقية القصد منها هو زخرفة داخل الجامع فقط"[27]. ورأينا أن هرتس أخطأ ذلك لأن وقفيات الجوامع لم تكن معروفة حينئذ وكان هذا هو الحال بالنسبة إلى مدرسة السلطان برقوق أيضًا التي اكتشف وقفيتها الدكتور مصطفى صالح لمعي في الستينات من القرن العشرين والتي قد خصص الواقف فيها الفسقية والميضأة أيضًا لينتفع بهما المسلمون في وضوئهم[28]. وقد أخطأ هرتس في رأيه في هذا الموضوع إلا أن النظام الجديد الذي أدخله هرتس في البرقوقية لم يلبث أن لاقى تبعة بعد زمن قليل لما تقدم إمام جامع إلجاي اليوسفي بطلب إلى ديوان عموم الأوقاف سنة 1895 قال فيه "إن الأصوب بالنسبة للآداب هو هدم هذا الخزان واستبداله بالهيئة التي

---

(26) انظر مثلاً:

- Henri Stierlin, Anne Stierlin: Splendours of an Islamic World. Mamluk Art in Cairo 1250-1517, London, 1997, p. 117, 120. Mamluk Art. The Splendour and Magic of the Sultans. Museum With No Frontiers, Cairo-Vienna, 2001, p. 142. Richard Yeomans: The Art and Architecture of Islamic Cairo, Reading, 2006, p. 199.

حتى الأثري المعماري الألماني بوركهارت الذي يعد علامة عصره والذي عاش في القاهرة معظم حياته يلاحظ في تعليقه على صورة هذه الفسقية في كتابه المشهور عن معالم مصر أنها ترجع إلى سنة ١٣٩٠ م :

- Ludwig Borchardt–Herbert Ricke: Aegypten. Landschaft, Volksleben, Baukunst, Berlin, 1929, p. XIX, no. 34.

(27) كراسة لجنة حفظ الآثار العربية القديمة ، مجلد 9 ، سنة 1892 ، ص 98.

(28) Saleh Lamei Mostafa: Madrasa, Hanqah und Mausoleum des Barquq in Kairo, Glueckstadt, 1982, p. 124 (lines 733-735), p. 125 (lines 758-760).

عملت لجامع برقوق بالنحاسين لأنه يعتبرها موافقة". وأما طلبه فكان سببه أن "الأهالي بحجة الوضوء يحضرون للتبول في المجاري المحيطة بالخزان" وعزم الإمام على إزالة هذه العادة المكروهة[29].

- **مدرسة قايتباي بالقرافة الشرقية** (أثر 99 ؛ 877-879/ 1472-1474) - اعتبر هرتس هذه المدرسة تحفة العمارة العربية الإسلامية[30] وأصلحها إصلاحًا كاملاً بسرور عظيم وحماس ونختار من تفاصيل أعماله المسائل المتعلقة بسقف الصحن والشخشيخة والمحراب. وكان صحن الجامع مكشوفًا قبل بدء أعمال الترميم إلا أن معلومات وصورًا متوفرة أثبتت أنه كان مغطى في بداية القرن التاسع عشر ولكن عمر شكل هذه التغطية لم يكن معروفًا. واعتقد هرتس أن التغطية المصورة في كتاب باسكال كوست المشهور الذي يحتوي على صور ترجع إلى فترة ما بين سنة 1818 وسنة 1825 ليست من عصر إنشاء المدرسة بل هي من زمن متأخر ولذلك لا يمكن الاعتماد عليها في الترميم. وفكر هرتس أول الأمر في الاحتفاظ بالصحن بوضعه المكشوف بعد تزويد واجهاته بشرفات مثلما نراها في صحن جامع السلطان حسن ولكنه عدل رأيه فيما بعد وقرر تسقيفه إلا أننا لا نعرف أسباب هذا التعديل. وناقشت اللجنة هذا الموضوع مناقشة مطولة مفصلة خصوصًا بعد أن انتقد هذا الرأي الفنان الفرنسي المشهور المسيو بودري Ambroise Baudry العضو الفخري في اللجنة انتقادًا عنيفًا قائلاً إنه من المستحيل أن تكون الصحون قد غطيت تحت "سماء القاهرة المنيرة" وألحق المسيو بودري برسالته صورًا فوتوغرافية من رسم عمله سنة 1871 يثبت – في رأيه – عدمَ وجود سقف في الصحن أصلاً: ويظهر في الرسم المذكور سقف بدون شخشيخة. واعتبرت اللجنة أن تفاصيل الرسم أثبتت أن السقف الموجود سنة 1871 كان السقف نفسه الذي نراه في لوحات كوست ومن ناحية أخرى إن بعض تفاصيل السقف في رسم المسيو بودري المذكور أثبتت في رأي اللجنة عدم إمكانية كون هذا السقف السقف الأصلي. ورأت اللجنة أيضًا أن صيانة أرضية الصحن المشغولة شغلاً دقيقًا والتي "لا تمكث" زمنًا طويلاً تحت التأثيرات الجوية

(29) كراسة لجنة حفظ الآثار العربية القديمة ، مجلد 12 ، سنة 1895 ، ص 65.

(30) تاريخ الفن الإسلامي لهرتس بك باللغة المجرية ... ، ص 164- 168.

تستدعي وجود السقف الكامل. وبحثت اللجنة عوامل أخرى أيضًا ونظرت مثلاً إلى العلاقة بين سقوف صحون الجوامع الصغيرة وسقوف دور قاعات منازل الأغنياء الرفيعة واعتمدت أيضًا على التفاصيل المعمارية التي لاحظتها في بعض الصور القديمة والتي قارنتها بالتفاصيل المطابقة في الجوامع المشابهة من العصر نفسه ووافقت اللجنة على التسقيف آخر الأمر. وقد حسمت هذه المسألة باكتشاف وقفية المدرسة بعد الحرب العالمية الأولى التي تثبت أن الواقف أمر بتغطية الصحن بسقف وكشك إلا أنها لم تزد تفصيلاً عن شكل الكشك: أهو مدور أم مضلع مدبب الرأس حاد أم قُبِّيُّ الشكل؟ أما هرتس فاختار سقفًا مسطحًا للشخشيخة لكي لا يكدر صفو المنظر العام للمبنى اللطيف. والحقيقة أن الاطلاع على الوثائق والمصادر المتعلقة بهذا الموضوع ينتهي إلى أن صحون الجوامع من عصر المماليك الجراكسة معظمها كانت مسقفة توسطتها شخاشيخ إلا أن كل هذه الشخاشيخ الرقيقة الدقيقة الصنع قد تدهورت واختفت تحت تأثيرات الجو المتقلب خلال مرور السنين ولم تكن لدى اللجنة معلومات مثبتة كافية عن تركيبها وتفاصيلها الأصلية. وإن الشخاشيخ اللطيفة البديعة الجمال التي نعجب بها في عصرنا الحديث هذا والتي نشاهدها في كتب تاريخ الفن العربي الإسلامي أعدت رسومات كلها في مكتب هرتس تحت إشرافه عن طريق الاعتماد على عناصر مختلفة مأخوذة من هيئات المباني المملوكية. وإن تفاصيل الوقفيات المكتشفة بعد عصر هرتس والتي تثبت وجود معظم الشخاشيخ المعروفة وتزودنا بمعلومات ثمينة للغاية بصورة عامة لا تكفي لمعرفة الشخاشيخ بكل تفاصيلها الضرورية لإعدادها وكذلك يصعب فهم بعض التفاصيل في وصف الوقفيات على القارئ المعاصر[31].

ورأى هرتس أن تكسية المحراب البسيطة الرخيصة التي نشاهدها في الصور الفوتوغرافية من عصره لم توائم رونق المدرسة الأصلي وقرر القيام بتكسية مناسبة. ويحتفظ مركز تسجيل الآثار الإسلامية والقبطية في المجلس الأعلى للآثار في القلعة في القاهرة برسمين رائعين يوضحان هيئات الجوامع المملوكية المختلفة من عصر قايتباي. نفسه والتي يجب إعداد أجزاء التكسية الجديدة الرخامية للمحراب على مثالها. ومن

(31) كراسة لجنة حفظ الآثار العربية القديمة ، مجلد 15 ، سنة 1898 ، ص 103– 104.

الواضح أن هرتس لم ينجح في إنجاز هذه المرحلة من المشروع لأن المحراب عارٍ حتى الآن، وليس هناك من دليل على أنها قد جرت.

الختام

لقد تقصينا بعض نواحي نشاطات هرتس باشا في مجال المحافظة على الآثار العربية الإسلامية في مصر ويمكننا القول إنه قام بترميم عدد معين من الآثار طبقًا لأعلى مستوى في عصره إلا أن بعضها أصبح يحتاج إلى ترميم جديد مرة أخرى وأما البعض الآخر فلقد امتدت إليه يد العناية في السنوات الأخيرة. ولا ريب أن الأجيال القادمة ستشعر بالامتنان العظيم لرجل بعث إلى الحياة آثارًا كادت تفنى وصان أخرى ، ولا يفوتنا أيضًا أنه اتبع نهجًا دقيقًا وعصريًا يرقى إلى ذرى عصره ليصبح نهجه هذا القدوة والمسار لكل من كانت الآثار له غايةً وديدنًا[32].

(32) أما تفاصيل أعماله على الآثار المختلفة ونشاطاته في مجالات أخرى مثل حفظ الآثار القبطية وإدارة دار الآثار العربية وتأسيس المتحف القبطي وإنشاء المباني الحديثة والبحث العلمي فيرجى مراجعة الدراسة المفصلة للمؤلف التي تحت الطبع حاليًا في المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة.